

الصين

عن كارلو سنورزا

يكثر الناس في الوقت الحاضر من الكتابة عن الصين ولكن ليس هناك قراء كافين . وفي ذلك اثبات على أن رجل الطريق له نصيب من الذوق أكبر من نصيب المفكرين . فليس هناك أية فائدة من محاولة التثريق بين شائع تسولين وشائع كاي شك وبقية الشائعات الذين يقودون عصابات تتقاتل في الشرق الأقصى .

ان حالة الصين في الآن الحاضر تشابه لدرجة كبيرة حالة إيطاليا في القرن الخامس عشر .

وقد تمحزب الكتاب للصين تمحزبا كبيرا أفضى الى التمارض التام غالب من يدعى أن في الصين نهضة وأن شمس الديمقراطية لاشك قد أشرقت عليها وأن وأن . أما معارضوهم فيمزون أكتافهم استهزاء وإذا نطقوا فهم يقولون ان فرقتين من الجند كافيتان لاختضاع الصين بأسرها وهكذا تجملان حداً لمهازل الجنود الصينية الخشبية .

ولكن أليس الرأي الاخير هو نفس رأي البعض عن الحركات التاريخية السابقة، وهل للمجازر البشرية نتائج حاسمة أم أن الضغط مهما قوي لا يكون الا كمثل محاولة ضغط كرة من المطاط لتبقي دائماً غير كروية في حين أن النتيجة دائماً تؤدي الى ازالة آثار ضغط الاصبع ؟

ومن أغرب الاشياء أن الاصطلاحات المألوفة لنا لاتدل في الصين على المعنى الذي تفهمه منها بل تدل على معنى منافي تماماً . مثلاً « الشرف السياسي » فهو غير مفهوم في الصين كما تفهمه . لأنه اذا أخذ أحد الزعماء رشوة من أحد البيوتات المالية هناك لا يعد عمله تقيصة بل على العكس يعد سجية خصوصاً اذا استعمل في تنشيط دعوة سياسية . وكذلك لا يعبر

الصينيون أدنى التقات الى من يحتفظ بمثل هذه الرشوة الى تأسيس ثروة لاعتقابه لان التفكير في صالح العائلة من الامور المشرفة . فالبيت أرقى منزلة في نظر الصينيين من الدولة . ومن الغريب أنه ليس في لغتنا ألفاظ تعبر عن بعض الصناعات الخلقية الصينية فمثلا ليس في العربية اصطلاح أوفى من كلمة صدغ (بفتح وسكون) للتعبير عن صفة التظاهر بالكبرياء التي يقدرها الصينيون أعظم تقدير، سواء كانوا من الاشراف أم من العامة . فالتصديغ هو مصدر كل المصائب (حسب اعتقادنا) التي تحمل بالصين . ولكنه عندهم من أجل الخصال .

الظاهر أن عهد الملكية في الصين قد مضى وانقضى وهذا معناه عند الغربيين أنه لن تقوم للملكية قائمة بعد ولكن هل هذا هو المقصود من هذا الاصطلاح في الصين ؟ سل ايا كان من رجال الصين الاذكيا عن رأيه في الحالة الاقتصادية الحاضرة، تراه يهز رأسه اسفا ثم يقول وكيف تنتظر لاجل حالة صلاحا وليس لنا ملك يطلب من السماء لها الصلاح ؟ ويجب ان لا تنسى ان شقة البعد بين الملك والسماء اقصر بكثير مما يتصوره أى مفكر غير صيني . ويجب أن تفهم أوروبا تمام الفهم ان ازالة ذلك الصنم المسمى ملك الصين معناه هدم هيكل تصوراتهم العالمية والاخروية . ومن العبث محاولة ملء الفضاء القائم بينهما لان آثار الهيكل القديم تأصلت في الارض منذ القرن السابع للميلاد. هذا اذا نبشنا أصل العائلة المالكة الاخيرة فقط . فالملك ليس حاكما بل هو معبد يري الصينيون العالم من خلاله . وبالطبع كان يحيط بالملك ملوك ثانويون هم الامراء الاقطاعيون الموزعون في أنحاء الاقطار الصينية . ومن الخطأ ان يقارن الانسان مملكة الصين بالامبراطورية الرومانية المقدسة، فان الاخيرة هكذا سميت لانها لم تكن رومانية تماما كما وانها لم تكن مقدسة تماما بعكس المملكة الصينية فكانت مقدسة بكل ما في معنى الكلمة من قوة . فالنظام الصينى يجب ان يتخيل على شكل هرمى إذ كما توغل المؤرخ في ماضيها يوجد أن القاعدة تزداد سمكا عن ذى مثل

حقيقة كانت العائلات المالكة تعزل ويحل محلها عائلات اخرى ولكن لا
يشعر بهذا التغيير والتبديل الا نفر قليل . وإذا فرض وتطرق هذا الحادث
الى اذهان بعض العامة فيكون على أي حال مشوبا بمسببات دينية . وماذا
يهم شخص الجالس على العرش مادام هو الملك ؟ وهذا هو بالضبط الواقع
منذ ١٩١١ فاعلم الناس حتى المحاربين لم يدر بخادهم تصديق اشاعة خلع
آخر ملوك عائلة سنج على اساس انه لو حدث مايشاع لكنت الارض غير
الارض والسماء غير السماء . فاذا قارنا هذا بحال الامبراطورية الرومانية نجد
فرقا ظاهرا يتلخص في ان الامبراطور كان قائدا لا يمت بصلة الى الآلهة
ولاصلة له بالسماء . ولم يكن قصر الملك الصيني بالصرح كما يتبادر الى الذهن ،
بل كان أقرب الى معبد منه الى غيرة ، وليس هذا فقط بل كل قاعة من قاعات
القصر الملكي كانت معبدا قائما بذاته لها اسم مستقل مكون من اكثر من
لفظة احداها لا بد وان تدل على معنى معبد ، حتى قاعة نوم ملك الصين فقد اطلق
عليها اسم معبد السماء

والآن يجب علينا ان نتساءل هل من الممكن ان تكون الصين

جمهورية قابلا وقالبا ؟

رسوسة الخناس

الفلسفة هي محاولة الوصول الى الحقيقة المطلقة ولكن هل هذه الحقيقة هي التجلية لحواسنا أم هي أمر مجهول منا تماماً . يقولون ان ما نحس به ليس أكثر من مظاهر يختلف وصفها باختلاف الحس . فاللون غير ثابت لانه يتغير بتغير الاضواء المنعكسة عليه كذلك الشكل يتغير بتغير نقطة الرؤية والصلابة تتغير بتغير قوة الضغط، وكذلك قل عن الذوق والسمع والشم فاذا كان أمامك ثلاث أوان تحوى احداها ماء مثلجاً والثاني ماء عادياً والثالث ماء ساخناً فانك لو وضعت احدى يديك في الماء الساخن والاخرى في الماء المثلج تشعر بتأثيرين متضادين، ماء بارد جداً وماء حار جداً . أما اذا رفعت احدى يديك ووضعتها في الماء العادي فتشعر بأن الماء الآخر أقل برودة أو أقل حرارة مما شعرت به أولاً . كذلك اذا تطلعت الى الحائط تراه أملساً مع انك تراه تحت المجهر غير أملس . فالمظاهر تبدو لنا متفاوتة باختلاف الظروف والبيئة . والآن يجب أن نتساءل هل نحن نشعر بالشئ الا بواسطة حواسنا وهل هذه الحواس ترى من الشئ غير مظهره ؟ فما دامت المظاهر تختلف باختلاف الحالات فكيف يمكننا أن نجزم بان حقيقة هذا الشئ هو كذا وكذا في حين ان المظهر الذي يبدو لحواسنا معرض دائماً للتغير ؟

لنتحول الآن الى تلك الحقيقة المطلقة ولنسأل هل هناك شئ (مادة) وراء هذه المظاهر الغير ثابتة ؟ فكل ما يمكننا أن نقوله هو لاشك في وجود محسوس وراء هذه الظواهر، ولكن ما هو ؟ فلنفرض ان أمامي انسان يكلمني فهل هناك ما يثبت وجود هذا الانسان ؟ وهل يجوز أن أكون حالمًا بوجود شئ أسميه انسان ؟ طالما نحن نحلم بأشياء رأيناها وأخرى لم نرها، بل تجسمت لنا في الحلم

جالت هذه الافكار في فكر ديكارت فعول أن لا يعتقد بما لم تقم بينة على وجوده فأخذ يتابع شكوكه الى النهاية الى أن شك في كل شئ وأصبح

يتساءل عما اذا كان هو بذاته موجوداً أم لا ، أما كل ما خلا شخصه فقد سلم جدلاً بأنه لا أكثر من خداع . ولكن اذا لم يكن ديكارت موجوداً فكيف يتاح لديكارت أن يخدع بل كيف يتاح له أن يشك ؟ هنا قال جملته الشهيرة « انا أفكر فاذن انا موجود » ولكن هل هذا «الأنا» غير متغير وبمعنى آخر هل «أنا» الذي افترض وجوده منذ عام هو نفس «أنا» المفترض وجوده في الوقت الحاضر، وهل هو أيضاً «أنا» الذي سيكون في المستقبل أليس هذا «الأنا» قد تغير في القدم وتغيرت تجاربه وتغيرت وجهة نظره كما تغير اهتمامه وقوته ومجموعة حواسه ؟ فهذا «الأنا» يتغير كل يوم بل كل دقيقة وكل ثانية «فانا» لم يحس بان الحائط أماس وكل ما هنالك أن (مجهولا) قد أحس بذلك

ما هو الذي يمكننا الحكم بوجوده خلف المظاهر ؟ وكيف نعرفه ؟ فلنسلم أن هناك جسماً له هذه المظاهر فهل هذا الجسم يكون دائماً موجوداً سواء أشعرت حواسنا بوجوده أم لم تحس بها ؟ فهل الكرسي موجود حتى اذا لم يكن أحد في الغرفة ؟ لنجتهد أن نغطي الكرسي تماماً بقماش فهل يظل الكرسي موجوداً اذا اختفت ظواهره عنا أم لا يكون موجوداً ؟ واذا لم يوجد فكيف احتفظ القماش بشكل الكرسي ؟ اتم ذلك بمعجزة ومن هو الذي أوجدها ؟ فاذن هناك سبب لما نحس به

لنرجع الى الحائط مرة ثانية فإنه بالرغم من ملاسة الحائط نسبياً فان كل شخص يراها يكاد يحزم بانها ملساء فالحكم الاجماعي في هذه الحالة تعميمي وليس تقدي . كذلك الرجل الواقف أمامك يراه كل شخص آخر - حقيقة ليس كما تراه أنت بالضبط - ويحكم بأنه موجود . ولو انك كنت حاملاً لكانت رؤياك غير معززة . لانه على فرض انك حامت بتشريفي لبتيك العامر فليس من المنتظر ان يحلم الحاج محمد بأنه حلم انه كان موجوداً عندك اما انرت المنظرة بحضورى . وكذلك عم سلامه لم يحلم انه قدم لى القهوة كما قدمها لك وكما قدمها للحاج محمد وكذلك صديقي على افندى لم يحلم باننى اجبته بما يفيه

اننى قاصد منزلك ولكن قد يوجد لدى اختلافات فى التفاصيل كنتيجة
لوجهات النظر المختلفة التى اتيح لكل منهم الاستئثار بوجهة منها
ملخص ماسبق هو انه من الواجب علينا التسليم بوجود « أشياء »
أخرى غير ذواتنا ، ولكن ليس فى حيز الامكان اثبات ذلك . وكذلك من
المستحيل علينا الوقوف على ماهية الاشياء وكل ما هنا لك اننا نحس فيجب
ان يكون هناك سبب لهذه الظواهر التى تجعلنا نحس
تأليف

حسين محمود

بكالوريوس فى الترجمة من كليات أمريكا

(ملحوظة) بعد ارتكاب جريمة الكذب السابقة وبخني ضميرى ولذلك
اعترف بملء الخشوع اننى لم أؤلف كلمة واحدة مما سبق وانما قد تلصت
بضع صفحات من كتاب لبرتراند رسل تلخيصا سخيفا لا ثبت للقراء اننى
عالم ومفكر وفيلسوف وأيضا لكى أقدم تقسى لهم كخريج الكليات امريكا ،
يعنى اننى مررت عليها كلها واحدة بعد الأخرى حتى تحصات على باقة بكالوريوسات .

هل الأدب العربي قديمه وحديثه

يكفي لتكوين الأديب ؟

هذا هو موضوع المناظرة التي تناقش فيها الدكتور هيكل والشاعر خليل مطران ، فالأول يقول سلباً ، والثاني يقول إيجاباً ، وقد فاز الثاني على الأول في نظر المستمعين الذين حضروا المناظرة وأعطى لهم حق ابداء الرأي كتابة فكانت النتيجة أن المطران قد فاز بأكثرية الاصوات ، ولقد أتنانا نبأ هذه المناظرة قبل وقوعها فانتظرنا وقوعها لنظفر بالنتيجة وكم أخذ منا العجب مأخذه عند ما تلقينا تلك النتيجة التي تثير في المرء دواعي الهزء والسخرية ونحن اولاء مدينون بالشكر للدكتور طه حسين الذي اطلعنا بحديثه على ما خفي علينا من أمر هذه المناظرة والظروف التي دعت اليها والغاية التي من أجلها وضعت. فمن طه حسين علمنا ان هذه المناظرة وتلك المناظرات كانت ضرباً من العبث البريء الذي يقصد به الى التمرين والتدريب على الخطابة دون أن يقصد به الى اثبات حقيقة من الحقائق فاتحاد الجامعة الذي يهيء هذه المناظرات ويختار أفراداً من الأدباء للمباراة فيها ترقية لأبواب الجدل والخطابة والاخذ والرد له ما يشاء في وضع هذه المناظرات وتوخي الفائدة التي يبتغيها منها ، ولكن كم كنا نود لو يترك الحكم للمستمعين في أنفسهم دون أن يدعوهم داع لاعطاء الاصوات كتابة لتفرز ثم تعلن على الملأ جهاراً وعلانية لا سيما في مواضيع دقيقة كهذه ، يحتاج الحكم فيها الى روية وامعان وتدقيق وتمحيص ودرس واختبار من ذوى المقدرة والباع الطويل في الأدب وفنونه ، ولعمر الحق انها لمهزلة أن يظن ان الحق كل الحق لا يكون الا فيما تنطق به الاكثرية ، فكم خدعت الاكثرية فمالت الى الضلال ، وكم أصابت الحق أقلية ، ، في مواقف كهذه فنطقت صواباً ، وقد يمكن في مواقف كهذه أن تحيد الاكثرية الساحقة عن جادة الصواب وتظل أقلية ضئيلة على جادة الهدى ، فكم نجنى علي الحق ان نلتمسه فيما تنطق به هذه الاكثرية ، ومن

هنا كان التصويت غير مجد في هذا الباب وضرره أكثر من نفعه ، وكم كنا نود لو ان اتحاد الجامعة فكر في هذا ولم يلتجئ الى هذا السبيل المموج ، وله مندوحة من تحذير غوستاف لوبون وغيره من علماء الاجتماع الذين حذروا ونهروا ان الجمهور ، العالم فيه والغبي ، كثيراً ما يخدع عن سبيل العاطفة ، وكثيراً ما يلعب بتلك العاطفة خطيب قدير ، أو مفوه ساحر ، ، كيف شاء واني يشاء ، فيقلب ببراغمته الحق باطلاً والباطل حقاً وان العالم كثيراً ما ينحط في سلك الاجتماع الى طبقة الجاهل فينطق عن عاطفته دون عقله ويلتبس عليه الضلال ويعمى عن الحق ويضل سبيلاً . . .

فلا تحاد الجامعة أن يفكر في شؤون ترقية الخطابة بالطرق التي يرتئونها مجدية امام التصويت ، اما أخذ الأصوات لاسيما في البت في مواضيع كهذه فهذا ما تحذره عنه للحق في ذاته وللفضيلة في ذاتها . . .

والآن فلنرجع الى روح الموضوع ولنسعن النظر كثيراً في هذا السؤال الملقى وهو « هل الأدب العربي قديمه وحديثه يكفي لتكوين الأديب » ولنتنبه الى ان الذي أجاب عليه سلباً كان هيكل والذي أجاب إيجاباً كان الطران

فانظر كيف ان هيكل الذي قال الحق انهزم في التصويت ولم ينل الا اقلية والذي أخطأ كيف ظفر بالاكثرية فانتصر ، وما سبب ذلك ألا التصويت الذي اتبع ، وما كان أجدره أن لا يتبع ، فموقف طران في المناظرة كان ضيقاً ومجاله غير واسع ولكنه كان داهية ليس في المنطق ولا في الاستنتاج ولا في الحكم ولا في القياس ولا في الأدب بل كان داهية في الخطابة وحسبه مع ضيق حدود موضوعه أن عرف كيف يستل من غمد الكلام حساماً ومن فنونه درعاً وما كان حسامه الا « القرآن » الذي أتى بذكره في مناظرته فكان لذلك السيف حكمه وكان له وقعه على آذان المستمعين وقلوبهم فخروا خاشعين ونطقوا بالحكم غير منتبهين فقال الفوز من حيث كان نصيبه الانهزام حواسب خصمه الاندحار من حيث كان مقدر له الاتصار . . . فالخطابة فن بمهاده الاقناع أن تصل اليه في قلوب المستمعين حتى ولو أدى بك الامر الى الخداع والمواربة والتدليس والبهتان أيضاً . . .

فكم من ذي حجة قوية أصابه الفشل في ميادين الخطابة لعمى في النطق وقلة براعته في فنون الخطابة والالقاء وفاز عليه ذو حجة واهية بارز في مضمار الالقاء. ومن هنا كثيراً ما يكون المهزوم صاحب الحق والفائز أخت الضلال ومن هنا كان التحذير لازماً وتحكيم العقل مطلباً والحكم عن الهوى غير محبوب. والآن دعنا ندخل في حدود المناظرة لنقول في ذات الموضوع ما يملية علينا الحق وما يهدينا اليه الواقع والدليل والكننا نرى أن لا مندوحة من أن نجيل الطرف فيما جاء به المتناظران لنميز بين الطيب منه والخبيث.

والحق أن المطران كان أقرب الى الصواب من هيكل في تعريفه الجامع المانع في الأدب والأديب ومن هنا يحق له أن يتباهى أنه مع ضيق مجاله وفساحة مجال خصمه قد تمكن من أن يطعنه من جعبة الخطابة بسهم ومن جعبة الادب بسهم آخر كلاهما كان صائباً قاتلاً . . .

والحق أنه لمن العيب أن يقصر أديب كبير ذو شهرة واسعة ورئيس تحرير جريدتين كبيرتين عن أن يعرف الأدب والأديب تعريفاً جامعاً مانعاً كما يقولون ..

لئن كان له العذر في تقصيره وهو خطيب عن ايفاء هذا التعريف حقه فإى عذر له بعد أن يرجع الى نفسه ويخطط خطابه الذي نشره على صفحات سياسته الاسبوعية ألم يقرأ هذا الخطاب قبل نشره ألم يصححه ألم يوقع عليه امضاءه فكيف لم يتسن له ان يأتي بتعريف يكون محكماً صائباً ، أم هي الحبسة قد فعلت فعلها في موقف الخطابة أم هو الفشل في اكتساب الاكثرية الذي كان ضعفاً على أباله لم يمكناه من الاهتداء الى هذا التعريف الجامع المانع؟؟

اللهم لا أدري وأشهد أنى لا أدري كما أشهد أن تعريف هيكل عن الادب والاديب لم يكن جامعاً ولا مانعاً أبداً وهما نحن أولاء ثبتت تعريف هيكل بنفسه ونصه سائلين المولى ان ينفعنا بأدبه ، فقد قال حفظه الله : —

« ان الادب فن جميل غايته تبليغ الناس رسالة ما في الوجود من حق وجميل بواسطة « الكلام » . والاديب هو الذى يؤدى هذه الرسالة . فكل

ما يقع عليه من أدب أى لغة من اللغات لا غاية له غير هذه الغاية وكل أديب يكتب فى أى باب من الابواب انما يريد بلوغها كلها أو بلوغ جانب منها ، والادب العربى لا يخرج عن أدب سائر اللغات فى هذا التعريف «

ونحن نسجل هذا التعريف ساخرين هازئين ونأسف كل الاسف ان نندفع اندفاعا للهزء والسخرية فى موقف الجد والادب ولكن ما العمل ، فكم فى مواقف الجد ما يدعو للهزء والسخرية .

ونحن لنثبت لحضرة دكتورنا تفضلة تعريفه نريد أن نسأله سؤالاً بسيطاً قائلين ما قولك بأولئك الذين تدعوهم أدباء ويدعوهم الملائمة أدباء ونلاسفة وعلماء بأن احد أولئك الذين كتبوا فى الأدب شيئاً كبيراً خلد لهم ذكراً ومجداً تليداً لا تزال تحتفظ به أجيال الامم المتمدينة كشيء خالد حى به أن يرفع ويخلد صاحبه ، نسأله قائلين ما قولك بهؤلاء الادباء وبادب هؤلاء الادباء ، هؤلاء الادباء ياسيدى ، لا أريد أن أحصيهم لك عدداً فهم فوق الحصر ، ولكن حسبي أن انعتهم بفتة المتشائمين ، هؤلاء ياسيدى ، لم يؤدوا فى أدبهم « رسالة ما فى الوجود من حق وجميل » وهم كما تعلم وأخالك لا تعلم لم يقرأوا « بجمال » هذا الوجود كما أنهم لم يقرأوا « بالخير » الذى فيه وهم قد سخرُوا منه وسخرُوا من الحياة جميعاً ، من قوانينها ومصيرها وشؤونها ومتناقضاتها ومن مفرياتها ومن نظامها ، سخرُوا من ذلك كله ومن أنفسهم ومما فى أنفسهم من دوافع وشهوات ونوازع وآمال أيضاً فما قولك بهؤلاء ياسيدى « الدكتور » أتريد أن تتبعك وتقول معك بناء على تفريعك أنهم ليسوا أدباء : أتريد أن تعلن الى العالم المتمدن رأيك ونتيجة واسع اطلائك فى الأدب ليقال انك قد فتحت فيه فتحة مبينا ???

هؤلاء لم يقرأوا ان هناك شئ يدعى (رسالة) كما تقول ويقول صاحبك العقاد وتردد هذه الكلمة معه . بل حسبهم أنهم شعروا وأنهم دونوا ما املاه عليهم العقل والشعور فكان فى نظرهم أدباء وكان فى نظر المدرسين أدباء عالياً منجوه عن تقدير وطبيعة خاطر درجة السمو والخلود لانه كان صورة صادقة نقلت لهم نفسيات أولئك الذين لا يشملهم تعريفك عن الادب والاديب .

والآن فلما أن تعترف «يادكتور» أن في تعريفك عن الادب والاديب قصوراً عظيماً أو تعلن أن هؤلاء لم يكونوا في نظرك أدباء ولا أدبيهم أدبا واننا لسكلا الامر بن منتظرون

فالادب عند المدركين ليس هو الفلسفة والعلم كما يقول الدكتور بل هو شيء آخر قد يكون وقد لا يكون فيه فلسفة وعلم. ذلك لأن الادب هو كل شيء يمليه الاحساس وتجود به النفس ويلقنه الضمير وتصوغه العواطف بصيغة الكلام أو الكتابة أجل كل ذلك أدب والأديب هو ذو النفس المزود بالشعور والعقل والاحساس والذي يحسن الصياغة ويجود بما يمليه عليه شعوره واحساسه وعقله اما كتابة أو كلاماً ، أجل هذا هو الأدب وهذا هو الاديب في نظرنا ونظر المدركين أيضاً . . .

على أننا للآن لم نبدي رأينا في جوهر الموضوع ولئن طال بنا الحديث وحال دون ابداء الرأي هذا التطويل فما الذنب بذنبنا بل ذنب من خطؤه الفادح يحتم علينا ان نصحيح معياره الذي اتخذه قياساً في تعريفه الأدب والأديب ، وما نحن نبدي رأينا بلا خوف ولا وجل ، هذا الرأي الذي يتفق مع رأى هيكل وهو ان الأدب العربي قديمه وحديثه لا يكفي لتكوين الأديب. أجل لا يكفي ولن يكفي أبداً

وقبل أن نقول كلمتنا نريد أن نثبت أمراً آخر وهو اطلاع المرء على الأدب القديم منه والحديث لا يخلق منه أديباً ما لم يكن بمواهبه قد خلق ليكون أديباً وعندئذ الاطلاع يفيد ولا يضره اذ يصقل من جوهره ويشير من مواهبه . . . والآن أين هو الأدب القديم ؟ وأين هو الأدب الحديث عندنا ؟ : أفى الكتب ؟ اليس كذلك ؟ فأين هي هذه الكتب التي يمكننا أن نقول أنها تكفي لتكوين الأديب ؟ ؟

وأنا أقول بهذه المناسبة ان الكتب العربية الموضوعة في الادب حديثاً هي أفيد الأديب وللمتأدب من تلك الكتب القديمة جميعها على الاطلاق ، وما فازت هذه الكتب الحديثة ، الا لأن مؤلفيها ، ومنهم من لا يزال على قيد الحياة ومنهم من فارقنا الى رحمة الله قد نهلوا من مورد أدب الامم

الراقية وجنوا من ثمراته الناضجة واطلمعوا على ترتيبه المحكم. أجل نقول ترتيبه
وتعني ما نقول ... اروني أيها القوم الذين لا يريدون النطق بالحق والذين
تخالفون سنة الوجود، اروني أي كتاب قديم في الادب العربي مرتب يسيفه
عقل الأديب والمتأدب العصري، اروني أين هو ذلك الكتاب وما اسمه
لا قوم بطبعه وتوزيعه مجانا على حسابي ان لم اجد من ذوي الأريحية وعشاق
الادب من يمد الي يدا ... ستشيرون طبعاً الى :

الكامل للمبرد أو أدب الكاتب لابن قتيبة

أو البيان والتبيين للجاحظ

والنوادر لأبي القالي

و و و

كما قال ابن خلدون ومشايخ بن خلدون وتلامذة ابن خلدون وكما لازالم
تقولون، هذه ليست كتب أدب بالمعنى المفهوم من الأدب في العصر الحديث
، ذلك لأن العصر الحاضر قد وسع باب الأدب توسيعاً شمل الحياة بأسرها
وكتبكم هذه وتوابعها لا تمثل هذا الحياة ولا تحمل شيئاً من زهورها ولا من
زوابعها، ولا من شؤمها ولا من بؤسها ولا من غدرها ولا من آلامها ولا
من متناقضاتها ولا من افراحها ولا من عبوسها ولا من غرورها، ولا
شيئاً من نفس الانسان ومن متناقضاته ومكنونات شعوره وميوله وعواطفه
إن هي الا كتب حملت من « القال والقال » والشئ التافه والصبيانى
والمتناقض والمنقوض في صيغة المداعبات الكلامية نثرأ وانظما شيئاً كثيراً
هذه الكتب لا تغنى الاديب عن الادب شيئاً، فالأديب العربي الذي برز في
حديثاً في الأدب ليس مدينأ لهذه الكتب بشئ بل انى لأخاله ناثراً عالياً
لتشويش فكره وضياع وقته سدى . انما هو مدين لما زودته به الفطرة
من شعور واحساس ورقة عواطف . لهذا هو مدين وليس لغير هذا هو
مدين وليس لهذه الكتب التى لا تزال فئة تتخذها المثل الاعلى لها والتى أن الاوان
لان نقول الحق فى شأنها بلا موارد ولا تعصب . والآن أي كتاب من كتب
الادب القديم التى يحلون لها ويقدمون لها يكفى؟ أهو الاغانى أم كتاب الحيوان

أصبح الاعشى؟ أو أين هو ذلك الكتاب الذي لا يحتاج للتنقيح والترتيب
وللطبع مرة ثانية لكي يقرأ وتقبل النفس على قراءته بشيء من الرغبة .
بل أين هو ذلك الكتاب العربي الذي يمكننا ان نتول فيه انه كتاب أدب كما
هو مفهوم الادب في العصر الحديث عند الامم التي تفهم الادب.

على ان ذكر القرآن الكريم ما كان الا « حجة خطابية » وما ذكره بمتعلق
في حدود هذا الموضوع فهو كتاب منزل من آله حكيم وما هو بكتاب أدب
صاغه أوجاد به انسان . انه كتاب معجز ، وكتاب دين ودنيا وآخرة وما دام
كذلك ، فليبق متبعاً محترماً مبجلاً في الحدود المنزلة !!

أما موضوعنا فهو الادب الانساني الذي جادت به النفس الانسانية
بصورته وأساليبه المتباينة المختلفة ، هذا هو الادب الذي لا يزال ربوعنا مفتقرة
اليه وستظل بحاجة اليه مالم يتطور بناؤها للاندماج في الادب العالمي لينهلوا
من موارد العذب والاجاج ليحملوا الى ادبهم من عذبه ومن اجاجه
أيضاً الواناً شتاتاً ...

فكما سبق وبيئت في مقالتي ان الأدب المجدي لم يعد محدوداً في حواجز
من زخرف الألفاظ بل ان حدوده قد وسعت حتى شملت الآفاق كلها بل
هو أصبح واسعاً لا يحده الا بما يحده به وسع النفس الانسانية ان كان لوسع
اعماقها من حد

والادب أصبح عالمياً بالمعنى المفهوم من هذا الاسم الواسع ومن هنا
كان الاقبال ولا يزال عند الامم المتعدنة المتطورة المتقدمة الراضية في الرقي
على الادب الخالد عظيماً ، فلا يظهر كتاب ادبي يحكم له بالتفوق الا وترجم ولو
كان مؤلفه في شمال الارص والمترجم لهم في جنوبها ، ولا ينظر الى مافي هذا
السفر الخالد كشيء صادر من أجنبي مهما كان دينه ومذهبه ودمه وجنسه
وملته بل ينظر اليه كشيء صادر من انسان وكفى ...

والنفس الانسانية كما قلت كانت ولم تزل واحدة في الانسان الشرقى منه
والغربى والشمالى منه والجنوبى وان كنا نقدر الادب لشيء فانما نقدره لانه
يبدأ بعمل عمله في سبيل هذه الوحدة العامة في « الروح الانسانية » فان كنا

نريد أن نعمل في سبيل هذه الوحدة الانسانية ، وحسدة الروح والنفس ،
فلنقبل على الادب الخالد أيا كان مصدره وأيا كان منشؤه مادام أنه ناشئ من
الإنسان ، نندم عليه لنستفيد منه ونفيد أدبنا الذي إنما به هذا نخدمه إن كنا
حقاً نغار عليه ونبغى له التقدم والازدهار ، أما أن نظل في عزلة فسيظل أدبنا
في وحدته متقهراً ، وفي زاوية الفساد منزوياً ، يعدل فيه الفساد دون أن
يتزود بلقاحات تقيه شر ناشزات الفساد .

والآن فقد أتى على الادب العربي حين من الدهر أجديت فيه العبقرية
وأجذب فيه الانتاج ، أفلا يجدر بالذين يغارون عليه أن يشدوا الهمم لتقوية
عنصره وتزويده بالنافع المفيد من رياض الادب النض الذي أثمر عند الغير
ونضج ، لأن الزمان والمناخ جادا عليهم في أوقات مختلفة بالغيث الطامي الذي
أنبت العبقرية وأنبت الادب الناضج ، أفلا يجدر بنا إن كنا نبغى الفرس
النافع أن نأتي الى دوحاتهم الخالدة ، فنأخذ منها أغصاناً لنأتي فنزرعها لنبت
في أرضنا القاحلة ؟ أفلا يجدر بنا أن نتخذ من لقاح دوحاتهم لقاحاً فنأتي
به الى دوحاتنا التي تغاب عليها الدهر فأذبابها فنطعمها ونلقحها لتزودنا بقوة
تدفع هذا الذبول وتبعث فيها الحياة ؟ أجيئوا يا أعداء التطور ، وإن لم تجيئوا
فدعوا الذين يحسنون الغرس ويغارون على الغرس يعملون ما ينفع ويفيد
واتركوهم أحراراً يلتجئون الى أي أدب يجد كان ليتزودوا منه بما يفيد
الفرس ويزيد الادب العربي قوة ، دعوهم ولا تشوشوا في التشويش جرم كبير .
في الامس مات عظيم من عظماء البيان وهو توماس هاردي فجدوه بؤ
قومه ورفعوه الى مرتبة العظماء وما نال مرتبة الخلود الا بأدبه ، وأدبه قد
ترجم الى جميع اللغات الحية ، وأوليس من العيب بل من العار أن لا يكون
من كتبه ورواياته وأسفاره كتاب واحد في العربية مترجماً ، فإن كتب
شوبنهاور ، ونيثشة ، وهين ، وأديسن ، ورسكن ، وديكنز ، وماتيو أرنولد
وبكين ، وثاكري ، وهيوم ، وكانت ، وبالاتو ، وباسكال ، وكونت ، وتيز ،
وسانت بوف ، وبوزويل ، وجونسون ، ونديار ، وسكوت ، وستفنسن
وفولتير ، وروسو ، ولام ، وهازلت ، وبليك ، وديكارت ، وماكولي

وغيرهم؟ أين هي أين؟؟ والآن ماذا تتعب أنفسنا بإحصاء الذين رحلوا ولا
نحصى المعاصرين ومنهم برنارد شو، وولز، وغوركي، وكبلنج، وسنكار،
وثيت، ودنزيو، ولدويج وغيرهم من الاعلام الذين لا تحصىهم الذاكرة .
أجل أليس من العار أن يكون من كتبهم التي أكثرها ترجم إلى اللغات
الحية كتاباً مترجماً إلى لغتنا العربية التي ندعى أننا نغار عليها فنسعى لموتها
يا كتفائنا بما لدينا من كتب، ولعمري لقد ترجمت لنا كتب من كتب أناتول
فرانس، وغوته، وشاتوبريان، والفونس دوديه، وهيجو، وكارليل،
ودستوفسكي، وتولستوي، وتاغور، فهل أضرت هذه الكتب بأدبنا؟
ألم تزد ثروة وحياة؟ ألا فاتقوا الله يا من تعلمون الحق فتذكروه أو ترونه
عياناً فتعاموا عنه. اتقوه واعلموا أن تعصبكم هذا ليس بتعصب مجد أبداً،
إن هو إلا تعصب ذميم، الضرر كل الضرر فيه، فاعرضوا عنه إن كنتم على
الحق تغارون، واسمعوا لتزويد ادبكم بالنافع المفيد إن كنتم بفيض الادب
المجدي الغني تهيمون .

وبعد فانا نقول ايجازاً ان الادب العربي قديمه وحديثه لا يكفي لتكوين الاديب
وان أدبنا لن يتقدم ما لم يندمج في الادب العالمي، وان على الاديب الغيور
ان لا يتوانى عن اتقان لغة من اللغات الاجنبية الراقية ليحرف بنفسه على
نهضة الادب العالمي، وان على الادباء الذين يحسنون احدي اللغات الاجنبية
الراقية واجباً نحو الجمهور وهو أن لا يتوانوا عن نقل الشيء المشعر من أدب
القوم إلى لغتهم ليزيدوا في ثروتها الادبية كما وان على الامم الناطقة بالضاد ان
تفكر في تشكيل كتلة من الادباء المطلعين فتقدم لهم مطالبهم ليتخصصوا
لنقل الرائع المفيد من الادب العالمي إلى الادب العربي . انا ان فعلنا ذلك
أو شيئاً من ذلك فاذ ذاك يحق لنا ان نقول إننا نغار على أدبنا ونسعى للاخذ
بناصره من كبوته، اما ان نكتفي بما عندنا، ونقتنع بوجدتنا، فسيظل ادبنا
متأخراً وسيظل يصيب كل فرد منا نصيبه من اللوم والتبعية ... والسلام على
من سمع القول فاتبع أحسنه : أو بالحري أصدقه !!

عكا توفيق حاي « أبو النجبا »